

بحار الأنوار

[312] يا هشام إن ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله. وإن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بريع وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه. وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل. يا هشام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا (1) فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل، ألم تعلم أن من شمع إلى السقف (2) برأسه شجه (3) ومن خفض رأسه استظل تحت وأكنه، وكذلك من لم يتواضع خفضه الله. ومن تواضع الله رفعه. يا هشام ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النسك، وأقبح من ذلك العابد الذي ثم يترك عبادته. يا هشام لا خير في العيش إلا لرجلين: لمستمتع واع، وعالم ناطق. يا هشام ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل ما بعث الله نبياً إلا عاقلاً حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين. وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه (4). يا هشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله. " إذا رأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه، فإنه يلقي الحكمة. والمؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل ". يا هشام أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام " قل لعبادي: لا تجعلوا بيني وبينهم _____ (1) الصفا: الحجر الصلد الضخم. (2) شمع - من باب منع -: علا ورفع. (3) أي كسره وجرحه. (4) أي ما يؤدي العبد فريضة من فرائض الله حتى عرف الله إلى حد التعقل، أو أخذ عنه.
